الفصل الأول

تـاريخ المدرسة عند المسلمين

- مدخل : لمحة عن تـاريخ المدرسة قبل الإسلام
- المبحث الأول : نشأة المدرسة الإسلامية ودورها في ا لمجتمع.
- المبحث الثـاني : نظامها الإداري وأنشطتها.
- المبحث الثـالث : إعداد المعلم وأخلاقيـاتـه.
- المبحث الرابع : تـرتيب المتعلم وأخلاقيـاتـه.

مدخل

لمحة عن تاريخ المدرسة قبل الإسلام

لم تكن المدرسة بمفهومها الحالي معروفة قبل اختراع الكتابة والقراءة، لأن التربية كانت ذات طابع شفاهي، تولى فيها الآباء والكبار والكهنة تعليم الأطفال ما يحتاجونه في حياتهم الراشدة من معارف ومهارات وقيم. ومن المعروف أن اختراع الكتابة والقراءة يرجع إلى الحضارات العربية القديمة التي ظهرت قبل الميلاد بآلاف السنين في العراق وسورية ومصر، حيث دعت الحاجة إلى اتخاذ مكان لتعليم الكتابة والقراءة.

وقد كشف علم الآثار عن أن "أولى المدارس كدور للعلم ظهرت في مدينة أوروك في بلاد ما بين النهرين (العراق) نحو عام ٣٥٠٠ ق. م. وكانت ملحقة بالمعابد التي تمركزت فيها الأنشطة الدينية والقضائية والمالية والزراعية والتجارية، وتكوين الأطر المؤهلة للقيام بتلك الأنشطة، وإدارة شؤون المدينة وسكانها"[(١)]. كما عرف المصريون القدماء المدارس وأطلقوا عليها اسم "بيوت الحياة" وكان يطلق "بيت الحياة" على كل دار لها صلة بالكتابة والقراءة والثقافة والمعرفة، وكلها تابعة للمعبد[(٢)].

وقد تطورت المدرسة مع تطور الفكر التربوي عبر العصور. ففي العصور القديمة وفي اليونان تحديدا، حدد أفلاطون في كتابه الجمهورية معالم النظام

---

(١) هيئة الموسوعة العربية التابعة لرئاسة الجمهورية العربية السورية، بإشراف: محمد عزيز شكري، الموسوعة العربية، طباعة هيئة الموسوعة العربية، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢٣٠.

(٢) غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، مصر، ط٢، ١٩٨٧م، مج٢، ص١٦٧١.

التربوي المثالي الذي تتلقى فيه كل طبقة اجتماعية تعليما يختلف عن التعليم الذي تتلقاه طبقة أخرى، ويهيأ أفرادها لأداء الأدوار المنوطة بهم في المجتمع، وأسس لهذا الغرض مدرسة في أثينا سماها "academy" "الأكاديمية"، وتبعه تلميذه أرسطو فأسس مدرسة لتطبيق أفكاره الفلسفية وسماها "lyceum" "الليسيوم". وفي روما القديمة أنشئت المدارس للذكور، فقصدها أبناء الطبقة الميسورة القادرون على دفع أقساطها المرتفعة.. وأما الإناث فكنَّ يتعلمن في منازلهنَّ[١].

وتعد "دار العلم" التي أنشأها البطالمة في الإسكندرية إحدى ثمار الفكر اليوناني الذي انتشر في الشرق. وقد كانت هذه المدرسة جزءا من الحي الملكي، وكانت تضم قاعات ومكتبة وبهو وحديقة، وكانت أشبه بمنشأة رسمية تمدها الحكومة بالمال، وتشرف عليها. وقد فاقت "دار العلم" مدرسة أثينا في كثير من النواحي وبعض وجوه النشاط[٢].

وفي الشرق كان للفرس والسريان مدارس تابعة للمعابد والأديرة، وكانت تسمى في اللغة السريانية "aschool" "اسكول" وكانت الغالبية العظمى من هذه المدارس لاهوتية دينية، وإن كان يسمح في كثير منها بدراسة العلوم الدنيوية كالبيان والفلسفة والطب والموسيقى والرياضيات والفلك[٣].

وقد اعتنى اليهود بإنشاء المدارس وخصوصا بعد ظهور المسيحية، وقد فرض بعض الكهنة على كل مدينة إنشاء مدرسة وقد ورد في التلمود " إذا تجاوز عدد الأطفال خمسة وعشرين قاد المدرسة معلم واحد، وإذا جاوز هذا العدد، فعلى المدينة أن تؤجر مساعدا له، وإذا جاوز الأربعين لزمها معلمان"[٤].

وقد كان للديانتين اليهودية والنصرانية فضل كبير على أهلهما في نشر الكتابة والعلوم بينهم، إذ صارت معابدهم مدارس يتعلم فيها الناس أصول ديانتهم، ومبادئ

---

(١) انظر: هيئة الموسوعة العربية، الموسوعة العربية، (مرجع سابق)، ص٢٣٠.

(٢) انظر: غنيمة، محمد عبد الرحيم، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان، د.ط، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م، ص١٩.

(٣) انظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) انظر: عبد الدائم، عبد الله، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ص١٦.

المعرفة والكتابة والقراءة لمن يرغب من الأطفال، كما أدت حاجة الديانتين إلى رجال دين يقومون بتثقيف الناس وتعليمهم أصول دينهم ونشر ديانتهم بين الوثنيين أو بين أصحاب الديانات الأخرى إلى تكوين معاهد خاصة ألحقت بالمعابد[١].

وقد كان يهود الحجاز والمواضع الأخرى من جزيرة العرب يلحقون بكنيسهم كتابا يعلمون به أطفالهم أصول القراءة والكتابة. بالإضافة إلى "المدراس" وهو المكان الذي تدرس فيه التوراة ويقصده اليهود للتفقه فيه والتعلم.. كما اتخذ نصارى العرب من كنائسهم مواضع لتعليم الأطفال القراءة والكتابة ومبادئ الدين[٢].

ولقد اتخذ العرب في الجاهلية دورا لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ المعرفة، وأطلقوا عليها اسم "الكتَّاب"، وقد ذكر بعض أهل الأخبار أسماء جماعة[٣] ذكروا أنهم كانوا من المعلمين في الجاهلية، وكانوا من أصحاب الوجاهة والمكانة[٤]. و"البيت هو المدرسة عند الجاهليين، وعند غيرهم من شعوب ذلك الزمن، فيه يتعلم الطفل، وإليه يرد المعلم لتعليم أولاد الموسرين ما يحتاجونه من كتابة وعلم بأجرة تدفع إليه"[٥].

ولما دخل الإسلام كان في قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب[٦]. بينما كان الكتَّاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلا، وكان بعض يهود قد علَّم كتاب

---

(١) انظر: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م، ج٨، ص٢٩٣.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص٢٩٥ و٢٩٧.

(٣) منهم على سبيل المثال: بشر بن عبد الملك السكوني، أخو أكيدر صاحب دومة الجندل، وسفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة.
انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ط ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٦٦٠.

(٤) انظر: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (مرجع سابق)، ص٢٩١.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٩٤.

(٦) منهم على سبيل المثال: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبو عبيدة بن الجراح، وأبو سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم.
انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، (مرجع سابق)، ص٦٦٠ و٦٦١.

العربية، وكان تعلّمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول، فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون. ومنهم من يكتب العربية والعبرانية[1]. والظاهر أن العرب في الجاهلية لم يعرفوا سوى الكتاتيب، التي اتخذت لتعليم الصبيان القراءة والكتابة. وقد بقيت هذه الكتاتيب تمارس مهمتها ونشاطها إلى جانب المساجد والمدارس ودور العلم.

***

(١) انظر: المرجع نفسه، ص٦٦٠ و٦٦٣.